

مجلة كلية العلوم الإسلامية

العدد
السابع عشر
2000

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة - تصدر سنوياً

1430 من ميلاد الرسول ﷺ الموافق 2000 افرنجي



العرب

بين الجاهلية والإسلام

الدكتور خالد ناجي السامرائي



كثر الحديث عن فترة الجاهلية، وأسهب العلماء والرواة في التطرق لها، ووصف طبيعتها، وإن كان هذا الإسهاب سطحياً دون الولوج إلى مسارب دقائق حياة الجاهليين وفهم مغزاها ودلالاتها.

إذ وجد العلماء والرواة المسلمون أنفسهم على طرفي نقيض مع كل ما جاء به الجاهليون ومارسوه واعتنقوه، وفي خضم حماسهم للإسلام العظيم وبيان مكان هذه العظمة، راحوا يسفّهون الحياة الجاهلية وينقصون من عقلية العربي الجاهلي، وينعتونه بمختلف النعوت التي تدور في فلك الجهل والسّفه والانحلال.

وإذ لا يمكن لأي باحث منصف أن ينكر عظمة الإسلام والرسالة المحمدية التي كان لها الفضل الأول في إخراج الناس من الظلمات إلى النور، لا يمكن أن ننكر ونتقاطع بشكل مطلق مع جزئيات الحياة الجاهلية، ويمكن الاستدلال على صحة ما نذهب إليه في هذا السياق من خلال إقرار الرسول العظيم محمد ﷺ للكثير من العادات والقيم الجاهلية، فحب الضيف وإكرامه والذود عن الحمى، والشرف، والنخوة، والنجدة، والصدق والأمانة وإغاثة الملهوف، والترفع عن الغدر والخيانة، وغير ذلك كثير، كانت مفردات تشكل جانباً مهماً من حياة الجاهليين التي أكد عليها الرسول العظيم وحث الناس على اعتناقها والعمل بها.

وذهب العلماء العرب وغير العرب في تسفيه الحياة الجاهلية مذهبين، أولهما: الفريق الذي وقع تحت وطأة الحماسة والعاطفة المتطرفة للإسلام، فحاول بيان الفرق الشاسع بين ما جاء به الإسلام وما كان الناس عليه في الجاهلية، ولعبت الغفلة وحسن النية دورهما في إعطاء الشعوبيين وأعداء العروبة مادة دسمة وغنية ليستخدموها في ذكر مثالب العروبة وتعدادها، وتجريد العرب من مزاياهم الحضارية، بدعوى أن الحضارة العربية حديثة العهد ولا يتعدى عمرها الإسلام، دون الاعتراف بحقيقة أن العرب كانوا ورثة الحضارات العظيمة التي أنشأها أسلافهم الساميون على الأراضي العربية.

بينما كان الفريق الثاني من العلماء والرواة وذوو الأصول غير العربية بخاصة، يفهم جيداً أن تجريد العرب الجاهليين من كل المزايا الحضارية هو الطريق الأمثل، ونقطة الشروع التي استند إليها الشعوبيون واستخدموها في تدعيم دعواهم، والبرهنة على صحة ما يذهبون إليه في ذم العرب، ومن ثم أصبح الطريق أمامهم سالكاً في محاولتهم تقويض الإسلام وتهديمه من الداخل.

إن الحياة العربية الجاهلية غنية بالكثير مما يمكن التطرق إليه للبرهنة على صحة دعوانا، فالعربي الجاهلي، وإن كان مشركاً بالله فإنه كان يتمتع بمزايا وخصال كريمة كثيرة. فمنهم الفارس المغوار وحامي الجار والذائد عن القيم الشريفة العزيزة، فضلاً عن المقتربات العقيدية والشعائرية الكثيرة مع الإسلام.

ويمكننا في هذا السياق أن نستدل على خطل الكثير من الأحكام والروايات التي ساقها الإخباريون عن تلك الفترة ببيان طبيعة تلك المقتربات ومغزاها .

لعل الإشراف بالله كان حجر الزاوية في وسم العرب قبل الإسلام بالجهل والضلالة، والسبب الرئيسي في إطلاق مصطلح الجاهلية على تلك الفترة من تاريخهم .

ومع إقرارنا بوجاهة الأسباب التي وقفت وراء هذا المصطلح، إلا أن ذلك لا يعني أن عبادة الأصنام لم يكن لها أسبابها ودلالاتها، فقد كانت وراءها فلسفة خاصة تضرب في أعماق التاريخ .

إن إحدى جوانب عظمة الإسلام تكمن في أنه أعطى الحلول والأجوبة الناجعة على كل ما دار من تساؤلات، وحدد بشدة الطرق التعبدية الحقيقية بعد أن رفع عن أعين العرب غشاوة الشرك، وأحيا ديانة أبيهم إبراهيم - عليه السلام - هذا يعني أن طقوس الجاهليين وشعائهم كانت محاولة للإجابة عن تلك التساؤلات، واجتهاداً يعبر عن الرغبة في الوصول إلى نمط من الوشائج الجمعية بين الإنسان وربّه من جهة، وبينه وبين الطبيعة من جهة ثانية .

إن من المسلّمات في علم الإنسان أن كثيراً من العادات والمعتقدات التي تسود بين الناس وتتخذ شكل تقاليد اجتماعية راسخة هي من مخلفات ديانات بدائية، ووثنية متقدمة، وأساطير وشعائر وطقوس متوارثة، وأنها تطورت عبر الأجيال وتأثرت حتى بالديانات السماوية، وأنها تطبع سلوك كثير من الناس وتنعكس في نتائجهم الثقافي والفني والأدبي، موحدين وغير موحدين .

«وتشخص الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية ظواهر من هذه العادات والمعتقدات ضمن مسميات شتى منها: «الشمانية» فقد أخذت من كلمة «شمن» Sahman ومعناها كاهن أو طبيب «شمان» أو من كلمة Shemen التي معناها صنم أو معبد أو من أصل آخر . ويراد بها ديانة تعتقد بالشرك؛ أي بتعدد الآلهة أو بعبادة الأرواح، مع عبادة الطبيعة لاعتقادها بوجود أرواح كامنة فيها، ويعتقد في

هذا الدين أيضاً بوجود إله أعلى هو فوق جميع هذه الأرواح والقوى المؤهلة ويتأثير السحر»⁽¹⁾.

وقد حدد علماء تاريخ الأديان ديانات أخرى تعبد الأشياء المادية الجامدة التي لا حياة فيها وتقديسها، لاعتقاد أصحابها بوجود قوة سحرية غير منظورة فيها تلازمها ملازمة مؤقتة، أو دائمة، وأتباع هذه الديانات لا يعتقدون بقدرة هذه المظاهر الجامدة على التأثير، بل يعتقدون أن أرواحاً تسكنها هي المسؤولة عن تسيير الطبيعة، والمظاهر الجامدة على هذا لا تحظى بقدسية لذاتها بقدر ما تمثل لأتباع هذه الديانات منازل للأرواح المقدسة.

ويبدو أن بعضاً من ديانات الجاهليين لم يتعد كثيراً عن فكرة حلول روح الإله في الحجر أو في رموز الطبيعة الجامدة، وكانت عبادتهم للأصنام في حقيقتها عبادة للروح التي تسكنها والتي تقربهم إلى الإله زلفى، يقول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾⁽²⁾.

«ويتبين من هذه الآية ومن آيات أخرى أن فريقاً من العرب كانوا يعتقدون بوجود الله، وأنه هو الذي خلق الخلق، وأن له السيطرة على تصرفات عباده وحركاتهم ولكنهم عبدوا الأصنام وغيرها، واتخذوا الأولياء والشفعاء لتقريبهم إلى الله زلفى»⁽³⁾. إن فكرة التقرب إلى الله من خلال مخلوقاته هي فكرة تضرب عميقاً في جذور التاريخ فلا غرابة أن يعتقدوا العربي الجاهلي فيتقرب إلى الله (عز وجل) من خلال الأحجار والنجوم والشمس والقمر والأشجار وغيرها من رموز الطبيعة، ولذا كانت الرموز الطبيعية تكتسب دائماً أهمية استثنائية في المعتقد الجاهلي، وحتى الأصنام التي ينحتها الإنسان ويعبدها لا تعبد لكونها

(1) المفصل في تاريخ العرب / د. جواد علي / ج6: ص45.

(2) سورة الزمر، الآيتان: 3 - 4.

(3) المفصل في تاريخ العرب / ج6، ص44.

من نحته وابتكاره، بل لأنها متشكلة من الأحجار، وهنا يكمن سر قدسيتها آنذاك.

وفكرة التقرب إلى الله من خلال مخلوقاته لم تقتصر على الرموز الطبيعية بل تجاوزتها إلى المخلوقات الحية. أما ما تناقله الإخباريون عن أناس كانوا يعبدون آلهة يصنعونها من التمر أو سواه ثم يأكلونها حينما يجوعون فمستبعد⁽⁴⁾. إذ إن دراسة طبيعة معتقد الجاهليين الديني ومكان أسراره وفلسفته، وبخاصة من خلال النص القرآني الكريم يدفع إلى الشك في صحة هذه الأخبار، فليس من المعقول أن يعبد العربي إلهاً مصنوعاً من التمر ثم يأكله، فهذا المنحى مخالف تماماً لفكرة عبادة الأصنام التي تشكل من الأحجار التي يعتقدون بحلول الروح فيها، فالتمر على هذا لا يصلح مادة لصنع الأصنام؛ لأنه لا يمتلك من السمات ما يؤهله لحمل روح الإله، ثم إن أكل هذا الإله يحيله إلى ما يأنف الجاهلي من الاقتراب منه.

وهناك الكثير من الإشارات التي تفيد أن أقواماً سامية قطنت المنطقة العربية وما حولها، كانوا يحرقون آلهتهم أو ملوكهم الذين عبدوهم، وقد حدثت هذه الطقوس ببعض الباحثين «إلى الظن بأن هذه العادة كانت مبنية على فكرة قوى النار التطهيرية، فهي إذ تأتي على العناصر التي لا بد أن تفسد وتفتنى في الإنسان تجعله أهلاً للاتحاد بما هو إلهي ولا يقبل الفناء، والأناس الذين كانوا يصنعون آلهتهم من شبه أنفسهم، ويتصورون أن الآلهة معرضة لما هم معرضون له من انحلال وموت، ومن الطبيعي أن يظنوا أن النار ستغدق على الآلهة ما تغدق على البشر حسب اعتقادهم، فيحسبون أنها تطهرهم من رجس الفساد والانحلال، تغربل الفاني من الخالد في تكوينهم وتضفي عليهم شباباً أزلياً»⁽⁵⁾.

فهم لا ييغون من حرق آلهتهم وملوكهم الذين عبدوهم قتل الإله والتخلص منه، إنما يعتقدون جازمين أنهم بحرقه يبقونه حياً إلى الأبد، بعيداً عن

(4) ينظر شعر ذي الرمة - دراسة فنية / د. خالد ناجي السامرائي / 39 - 37.

(5) أدونيس / فريزر / ص 130.

يد الانحلال والفناء، فكومة الرماد المتخلفة ما هي إلا جلده الذي نفاه عنه، أما هو فبعيد في عوالمه الأثيرية في السماء، فوق الأشجار، يطير مع الريح، ينزل مع المطر، ينبت مع الحشائش والورود.

فهل كان العربي الجاهلي بعيداً عن روحية هذه العادة المقدسة وإن لم يلجأ إليها؟!

نقول: إنه ليس من المنطق بمكان أن يحيل العربي الجاهلي إلهه إلى محض فضلات، بينما دأب أسلافه الساميون على البحث عن عوالم أثيرية لأرواح آلهتهم تبعدها عن نجاسة الأرض وما يعلق بأجسادها من شوائب.

وقد أولت الديانات السامية بعامة والعربية منها بخاصة أهمية استثنائية للروح، فكان الأحياء يحملون من القدسية ما يحمله الأموات، فقد كان «ملوك بابل الأوائل يعبدون بصفتهم آلهة ما داموا أحياء»⁽⁶⁾. وإن هذه الصفة تنتفي عنهم بمجرد موتهم، وتنتقل بطريقة ما يعتقدونها إلى من يخلفهم، وفكرة التقرب إلى الله من خلال البشر، واعتقاد بعض الناس بها مصورة في بعض مواضع القرآن مثلما ورد في سورة يوسف حين أراد أخوة يوسف التوبة والرجوع إلى الله، فإنهم لجأوا إلى أبيهم ليدعو لهم الله ليغفر لهم ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾⁽⁷⁾ قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ⁽⁸⁾.

فإخوة يوسف الذين ثقلت عليهم السيئات لإلقاتهم أخاهم في الجب، رأوا أن دعاءهم قد لا يجاب لمعصيتهم ربهم، فلم يجدوا أفضل من أبيهم نبي الله يعقوب عليه السلام ليفعل ذلك، لأنهم اعتقدوا أنه نبي مقرب ودعاؤه يلقي استجابة أفضل من الله تعالى، وبخاصة لكونه من تحمل تبعه آثامهم، وورد عن أنس رضي الله عنه إنه قال: (قحط الناس، فاستسقى عمر بالعباس وقال: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا إِذَا قَحَطْنَا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بَنِيِّكَ فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا، قال: فسقوا)⁽⁸⁾.

(6) نفسه/ ص130.

(7) سورة يوسف، الآيتان: 97 - 98.

(8) تاريخ الإسلام/ الذهبي/ الخلفاء الراشدون ص377.

هذا الأمر يدل على أن المسلمين الأوائل أقروا مثل هذه العادات بعد أن شذّبوها ورفّعوا عنها ما يعترّيها من شوائب الوثنية والشرك، وأعطوها مسحة الإيمان والتوحيد.

واتخاذ المشركين الأنداد لله، والوسائل للوصول إليه ومناجاته لا ينفي إيمانهم بوجود إله خالق أعظم، هذا الإيمان تؤكده أدلة عقلية كثيرة، وإلا فما معنى أن يؤمن العرب بأن الكعبة بيت الله؟ وما معنى أن يقدسوها كل هذا التقديس ويجتنبوا صيد طيرها وسفك الدم في حرمها؟

إنهم كانوا يتشبّهون ببقايا ديانة أبيهم إبراهيم عليه السلام وإن أدخلوا عليها الكثير من المعتقدات والشعائر التي لا تمت لها بصلة، فلولا إيمانهم بالخالق الأعظم لما رَكَنَ عبد المطلب بن هاشم إلى الله سبحانه، ولما أوكل إليه حماية بيته يوم انبرى أبرهة الأشرم مصطحباً فيله لهدم البيت العتيق، حينها اكتفى عبد المطلب بالسعي لاسترداد عدد من الإبل كان جيش أبرهة قد صادرها، وقال قولته الشهيرة حين عوتب بأنه يهتم بأمر الإبل في الوقت الذي يتهدد الكعبة خطر داهم: «أنا ربّ الإبل ولليّ رب يحميه» فهل كان عبد المطلب ينتظر حماية البيت والذود عنه ضد جيش الأحباش اللجب من بضعة أحجار منحوتة أو أنه كان يعلم علم اليقين أن للبيت رباً لا ينام؟ ربّاً يسمع ويبصر ما يُراد ببيته وحرّمه وحرّمته، فكان نصر الله لبيته آية خلّدها القرآن، تمثلت بطير أباييل ترمي الجيش الآثم بحجارة من سجيل فجعلته كالعصف المأكول.

ولم يغفل الشعراء الجاهليون الإشارة إلى الله (جل شأنه) والتنويه بصفاته القدسية، الأمر الذي يشير بصراحة إلى إيمان عميق برب الأرباب، وتسليم لا يشوبه الشك بقدرته غير المتناهية على الفعل. يقول طرفة بن العبد مُشيراً إلى الله العليّ القدير الذي لا حكم سوى حكمه:

وتقول عاذلتي وليس لها بغدٍ ولا ما بعده علمُ
إن الشراء هو الخلود وإنّ المرء يُكربُ يومه العُدمُ
ولئن بنيت لي المشقر في هُضْبٍ تُقصرُ دونه العُصمُ

لَتُنْقَبَنَّ عَنِّي الْمُنِيَّةُ إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَحُكْمِهِ حُكْمٌ⁽⁹⁾

وحُكْمُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَقِفُ أَمَامَهُ شَيْءٌ وَلَا يَحُولُ دُونَهُ حَائِلٌ يَتَدَلَّى مِنْ خِلَالِ عَطَائِهِ وَمَنْحِهِ الْأَرْزَاقِ. فَهُوَ الْمُعْطِي وَهُوَ الْمَجْزِي. فَلَمْ يَصِلْنَا مَا يَشِيرُ إِلَى أَنَّ الْجَاهِلِيَّينَ كَانُوا يَسْبِغُونَ هَذِهِ الصِّفَاتِ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ، فَلَا الْعَزَى وَلَا اللَّاتُ وَلَا هُبْلٌ وَلَا مَنَاةٌ وَلَا غَيْرُهَا مِنَ الْأَصْنَامِ كَانَتْ تُوسَمُ بِهِ هَذِهِ الصِّفَاتِ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى وَعْيِ عَالٍ بِالْفَرْقِ بَيْنَ مَنْ يُعْطَى وَيَمْنَعُ وَيُحْيِي وَيُمِيتُ، وَبَيْنَ الْأَصْنَامِ الَّتِي كَانَ الْجَاهِلِيُّونَ يَتَوَهَّمُونَ أَنَّهَا تَتَوَسَّطُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَبَيْنَ إِلَهِهِ الْأَكْبَرِ لِعَدَمِ الْأَهْلِيَّةِ لِلصَّلَةِ الْمُبَاشِرَةِ مَعَهُ - عَلَى حَسَبِ اعْتِقَادِهِمْ.

يقول النابغة الذبياني عن عطاء الله (جل جلاله):

لَهُمْ شِمَةٌ، لَمْ يُعْطِهَا اللَّهُ غَيْرَهُمْ مِنْ الْجُودِ، وَالْأَحْلَامِ غَيْرُ عَوَازِبِ⁽¹⁰⁾

ويقول أيضاً في معرض مديحه للنعمان بن المنذر ملك الحيرة مُشيراً إلى أن الله هو الملاذ الأخير للإنسان وليس ثمة ملاذ آخر بعده:

حَلَفْتُ، فَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ⁽¹¹⁾

ثم يضيف مُشيراً إلى أن الله قد أعطى النعمان، وليس إله غيره يعطي:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ⁽¹²⁾

وحاتم الطائي كان يؤمن هو أيضاً بأن الأرزاق من الله، ويبدو أن هذه الفكرة كانت متداولة بين العرب بتأثير من بَقَايَا الحنيفية، يقول:

فَلَا تَلْتَمِسْ رِزْقاً بَعِيشٍ مَقْتَرٍ لِكُلِّ غَدٍ رِزْقٌ يَعُودُ جَدِيدُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الرِّزْقَ غَايٌ وَرَائِحٌ وَأَنَّ الَّذِي أَعْطَاكَ سَوْفَ يَعِيدُ⁽¹³⁾

(9) ديوان طرفة بن العبد/ ص 83.

(10) ديوان النابغة الذبياني/ ص 12.

(11) نفسه/ ص 17.

(12) نفسه/ ص 18.

(13) ديوان حاتم الطائي/ صنعة يحيى بن مدرك الطائي/ ص 250.

وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة أشار الله فيها إلى أن فئة من الكفار كانوا يؤمنون بالله وقدرته ووسطوته وأنه خالق كل شيء، يقول عز من قائل: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾⁽¹⁴⁾. وفي آية أخرى سؤال آخر موجه للمشركين ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾⁽¹⁵⁾.

ومثلما كان الإيمان بالله موجوداً - وإن شابه الشرك وثلمه وقوّض معانيه الركون إلى أحجار اتخذها أصحابها واسطة بينهم وبين الله - فإن الإيمان بعالم ما بعد الموت كان موجوداً أيضاً، ولكن بحدود ضيقة، فقد أشار الشعراء الجاهليون في مواضع من أشعارهم إلى فكره الإيمان بيوم الحساب، وعالم ثانٍ يحيا فيه الإنسان وينشر فيه الناس بعد موتهم، ويسألون عما اقترفت أيديهم وما جنت أنفسهم، يقول طرفة بن العبد في إشارة واضحة إلى إيمانه بأن الإنسان مسؤول عن أعماله مُحاسبٌ على سيئاته:

فكيف يُرجي المرءُ دهرًا مُخلّداً وأعماله عمّا قليل تُحاسبُه⁽¹⁶⁾

ومثلما آمن طرفة بالحساب واليوم الآخر آمن حاتم الطائي بأن الله قادرٌ على أن يُحيي العظام وهي رميم وينشر الموتى للحساب يقول:

أما والذي لا يعلمُ الغيبَ غيرُهُ ويُحيي العظامَ البيضَ وهي رميمٌ
لقد كنت أطوي البطنَ، والزادُ يشتهي مخافةَ يوماً أن يُقالَ لثيمٌ⁽¹⁷⁾

ويقول زهير بن أبي سلمى في السياق ذاته:

فلا تكتُمَنَّ الله ما في صدوركم ليخفى ومهما يُكْتَمَ الله يعلم
يؤخر فيودع في كتابٍ فيدخر ليوم الحساب أو يعجلُ فينقم
وكان للجاهليين بعض المعتقدات التي تدل على إيمان باليوم الآخر. ومن

(14) سورة العنكبوت، الآية: 61.

(15) سورة العنكبوت، الآية: 63.

(16) ديوان طرفة/ ص 13.

(17) ديوان ابن حاتم الطائي/ دار ومكتبة الهلال/ ص 76.

ذلك ما يفعلونه حين يموت الرجل منهم حيث يعمدون إلى راحلته التي ركبها، فيوقفونها على قبره معكوسة رأسها إلى يدها، ملفوفة الرأس في وليتها، فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت، ليركبها إذا خرج من قبره. وكانوا يقولون إن لم يفعل هذا، حشر يوم القيامة على رجله. وكانت تلك الناقة التي يفعل بها هذا تسمى «البلية»، وقال أبو زبيد الطائي، وذكر نسوة مسلّبات في مأتم فشبهن بالبلايا:

كالبلايا رؤوسها في الولايا ما نحات السّموم حرّ الخدود
وقال عمرو بن زيد الكلبي يوصي ابنه:

أُبْنِي زُوْدْنِي إِذَا فَارَقْتَنِي فِي الْقَبْرِ، رَاحِلَةٌ بِرَحْلِ قَاتِرٍ
لِلْبَعْثِ أَرْكَبْهَا إِذَا قِيلَ أَظْعَنُوا مُسْتَوْسِقِينَ مَعًا لِحَشْرِ الْخَاشِرِ
مَنْ لَا يُوَافِيهِ عَلَى عَيْرَانَةٍ وَالْخَلْقَ بَيْنَ مَدْفَعٍ أَوْ عَائِرٍ⁽¹⁸⁾

وكانوا يسمّون الطريق الذي يقطعونه وصولاً إلى المستقر الأخرى «الهار» ويعتقدون أنه وادٍ سحيق طويل يزدحم فيه الناس ويتدافعون. يقول جُربية بن أشيم الفقعسي يوصي ابنه أيضاً ليعدّ له بليّة صالحة تُعينه على عبور الهار:

يَا سَعْدُ إِمَّا أَهْلَكَنَّ فَإِنِّي أَوْصِيكَ، إِنْ أَخَا الْوَصَاةِ الْأَقْرَبُ
لَا تَتْرَكَنَّ أَبَاكَ يَعْثُرُ رَاجِلًا فِي الْحَشْرِ يَصْرَعُ لِلْيَدِينِ وَيَنْكَبُ
وَاحْمِلْ أَبَاكَ عَلَى بَعِيرٍ صَالِحٍ وَتَقِ الْخَطِيئَةَ إِنْ ذَلِكَ أَصُوبُ
وَلَقَلَّ لِي مِمَّا جَمَعْتَ مَطِيَّةً فِي الْهَارِ أَرْكَبْهَا إِذَا قِيلَ أَرْكَبُوا⁽¹⁹⁾

ولهذه الأسطورة الدالة على الإيمان باليوم الآخر وبحياة ثانية نظائر في ميثولوجيا العراقيين القدماء ومن بعدهم المصريون والإغريق، إذ تُستبدل الميثولوجيا الإغريقية واسطة العبور إلى العالم الآخر - وهي الناقة في الحالة العربية - بقطعة نقود توضع تحت لسان الميت وتدفن معه. يعتقد الإغريق أنها ستعين الميت على رشوة ملك النهر في العالم السفلي؛ لكي ينقله بزورقه إلى

(18) المحبّر/ محمد بن حبيب/ ص 323 - 324.

(19) نفسه/ ص 323 - 324.

الضفة الأخرى حيث المستقر الأخير، أما الفراعنة فأمرهم أشهر من أن يغيب عن أحد، إذ تمثل الأهرامات بما تضمه من مومياة الفرعون وحوائجه وكنوزه وخدمه خير معبر عن الإيمان بعالم ثانٍ ينشر فيه الملك فيجد كل ما يحتاج إليه .

ومع وجود دلائل على تأثر العرب الجاهليين بالأقوام المجاورة لهم، وبخاصة الساميين، إلا أننا لا نملك جواباً قاطعاً عن الكيفية التي تصوّر فيها (أولئك الجاهليون حدوث البعث والحشر، هل هو قصاص وثواب، وعقاب وحساب، وجنة ونار. أو هو بعث وحشر لا غير، فأهل الأخبار لم يأتوا عنه بجواب، ولم يذكروا رأي تلك الفئة المقررة بالبعث والحشر في ذلك. ولهذا فليس في استطاعتنا إعطاء صورة واضحة عن الحشر وعمّا يحدث بعده من تطورات وأمور)⁽²⁰⁾ على حسب معتقد الجاهليين.

وعلى الرغم من هذه الإشارات الدالة على إيمان فئة من الجاهليين باليوم الآخر إلا أن ما ورد في القرآن الكريم يشير بوضوح إلى أن الأكثرية الغالبة من أهل الجاهلية لم يكونوا يؤمنون إلا بالحياة الدنيا، ومن هؤلاء مشركو قريش الذين جادلوا الرسول ﷺ في اليوم الآخر، واستهزؤوا به حين أعلمهم أنهم مبعوثون ليوم لا ريب فيه يحاسبون على أعمالهم. يقول الله سبحانه وتعالى حكاية عن المشركين: ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾⁽²¹⁾.

بل إن الإيمان باليوم الآخر جُوبه بأشد أنواع الجحود والمعارضة، وكان علامة مميزة للأمم الكافرة. فكم من أمة سلفت جاءها رسول من رسل الله يدعوهم إلى الوحدانية، وإلى الإيمان بعالم الغيب، والتسليم باليوم الآخر كفرت وأصمت أذانها عن سماع الحق. يذكر الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه حكاية أمة من تلك الأمم ﴿وَرَأَيْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ﴾⁽³¹⁾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ⁽³²⁾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلْقَائِ الْآخِرَةِ وَاتَّخَفْتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا

(20) المنفصل/ ج6: ص131.

(21) سورة الأنعام، الآية: 30.

تَشْرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَعْطَشَ بَشَرًا مِثْلَكَ بِإِنِّكَ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَعِدُّكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذَا مِثْمُ وَكُنْتُمْ تَرَابًا
وَعِظْلًا أَنْفُسَكُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٣٥﴾ هَبَاتَ هَبَاتٍ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حِكَاُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ
وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ (٢٢).

أما الإيمان بعالم الجن في الجاهلية فهو إيمان لا لبس فيه، فالأمثلة على ذلك لا تحصى ولا تعد، بل إن الأمر وصل بالعرب - بحسب بعض هذه الأخبار - إلى الاعتقاد بأن الجن تقول الشعر، وتتقاتل فيما بينها وتقتل الرجال، مثلما قتلت سعد بن عباد، وسمع الناس هاتفاً يقول:

قد قتلنا سيد الخزر ج سعد بن عبادة
ورميناه بسهمين فلم نخط فؤاده
ورأت العرب أن البيت المشهور:

وقبر حرب في مكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

قد قالته الجن بالنظر لقرب مخارج حروفه وعدم القدرة على النطق به ثلاثاً، ووضعت له خرافة زعمت فيها أن هذا البيت مما قالته الجن بعد قتلها لحرب بن أمية.

ومما نسجوه أيضاً قولهم أن الجن قتلت مرداس بن أبي عامر السلمي، واستهوت طالب بن أبي طالب وغيبته بعد خروجه مع قريش لقتال المسلمين في معركة بدر، وزعموا أيضاً أن الجنيات قد يتزوجن من أنسيين وما شابه ذلك من أخبار يعد معظمها من نسج الخيالات الساذجة ومن صنع المخيلة الشعبية الخصب.

المهم في هذا كله الخلوص إلى نتيجة مفادها: أن من يؤمن بوجوه الجن لا بد أن يكون عقله ومخيلته ووعيه على استعداد للإيمان بغيبات أخرى.

أما أخبار الأمم السالفة فليس من الصواب الاعتقاد بأن العرب لم يكونوا على دراية بجوانب منها، بل إنهم بشكل أو بآخر كانوا يعرفون نفاً من تلك

(22) سورة المؤمنون، الآيتان: 31 - 38.

الأخبار، ويلمون بأنباء عن غضبٍ إلهي حل بأمم جاورتهم وكان كفرهم مدعاة لإرسال حاصبٍ من السماء أو صاعقة، أو إمطارهم بحجارة من نار، أو غيرها من ألوان العذاب، وإشارات الشعراء الجاهليين إلى الأمم السالفة كثيرة مطردة، فيها هو طرفة بن العبد يضمن شعره أخبار لقمان بن عاد وذوي القرنين فيقول:

ألم ترَ لُقمانَ بنَ عادٍ تتابعت عليه النسور، ثم غابت كواكبه
وللصعبِ أسبابٌ يُحلُّ خطوبُها أقام زماناً، ثم غابت مطاليبه
إذا الصَّعبُ ذو القرنين أرخى لواءه إلى مالكٍ ساماه، قامت نوادبه
يسيرُ بوجهِ الحنْفِ والعيشُ جَمعه وتمضي على وجه البلاد كتائبه⁽²³⁾
ويقول أيضاً مُشيراً إلى نبي الله داود:

وَهُمْ ما هم، إذا ما لبسوا نسجَ داودَ لبأسٍ مُحْتَضِرٍ⁽²⁴⁾
وعلى المنوال ذاته يتطرق النابغة إلى بعض ما أصاب الأمم السالفة من هلاك هو حق مكتوب على بني البشر:

ولقد رأى أنَّ الذي هوَ غَالَهُم قد غَالَ حميرَ قِيلَها الصَّباحا
والتَّبَعِينَ، وذا نُواسٍ غُدوةً وعلا أذينة سالبَ الأرواحا⁽²⁵⁾

وذو نواس الذي عناه النابغة هو ملك اليمن، وقصته مع أهل نجران معروفة. إذ يذكر أن ذا نواس هذا كان على دين اليهودية وأراد أن يرغم نصارى نجران على أن ينسلخوا من دينهم ويتهودوا (فسار إليهم ذو نواس بجنوده من حمير وقبائل اليمن، فجمعهم ثم دعاهم إلى دين اليهودية، فخيرهم بين القتل والدخول فيها، فاخترأوا القتل، فخذ لهم الأخدود، فحرَّق بالنار، وقتل بالسيف، ومثل بهم كلَّ مُثْلَةٍ، حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً)⁽²⁶⁾. وقد أشار القرآن الكريم إلى قصة أصحاب الأخدود، إذ يقول جلَّ شأنه: ﴿قُلِّلَ أَصْحَابُ

(23) ديوان طرفة بن العبد/ ص13.

(24) نفسه/ ص: 55.

(25) ديوان النابغة الذبياني/ ص28.

(26) تاريخ الرسل والملوك/ الطبري/ ج2، ص123.

الْأَخْذُورِ ④ أَلْتَارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ⑤ إِذْ هُرَّ عَلَيَّا قُعُودٌ ⑥ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ⑦
وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْغَرِيبِ الْحَمِيدِ ⑧ ﴿٢٧﴾ .

أما قصة عاد التي ذكرها القرآن الكريم فإنها كانت معروفة بشكل أو بآخر للجاهليين، لكن ليس بتفصيلاتها القرآنية التي غابت عنهم، وأراد الله أن يبرهن من خلالها ومن خلال قصص أخرى لم يسمعوا بها على نبوة الرسول ﷺ، ودليلاً على أن ما جاء به الرسول ﷺ ليس من عنده بل هو وحي يوحى إليه من الله جلّ شأنه، يقول طرفة مشيراً إلى عادٍ وما أصابهم:
ولقد بدا لي أنه سيغولني ما غال عاداً والقرون فاشعبوا⁽²⁸⁾

ومن الأخبار الأخرى التي تناولها الشعراء الجاهليون قصة الحَضَر وهي مدينة في العراق بين دجلة والفرات بجبال تكريت، وكان بها رجل من الجرامقة يقال له الساطرون وهو الذي يقول فيه أبو دؤاد الأيادي:

وَأَرَى الْمَوْتَ قَدْ تَدَلَّى مِنَ الْحَضَرِ عَلَى رَبِّ أَهْلِ السَّاطُرُونَ
والعرب تسميه الضيزن، وقد ذكره الأعشى في شعره أيضاً إذ يقول:
أَلَمْ تَرِ لِلْحَضَرِ إِذْ أَهْلُهُ بِنُعْمَى وَهَلْ خَالِدٌ مِنْ نَعِيمٍ
وقال فيه عدي بن زيد العبادي:

وَأَخُو الْحَضَرِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَّ لَهُ تُجْبَى إِلَيْهِ وَالْخَا بَوْرُ
شَادُهُ مَرَمَرًا وَجَلَّلَهُ كُلَّ سَأَ فَلَطِيرٍ فِي ذَرَاهُ وَكُورُ
لَمْ يَهَبَهُ رَيْبُ الْمَنُونِ قَبَادَ الْـ مُلْكُ عَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورُ⁽²⁹⁾

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى المشركين من خلال القرآن الكريم بقصص الأمم السالفة وما حلّ بهم جزاء كفرهم وعصيانهم. وحثهم على تجنب ما يمكن أن يحيق بهم، وخاصة أنهم كانوا يعرفون ديار هذه الأقوام ويمرون عليها

(27) سورة البروج، الآيتان: 4 - 8.

(28) ديوان طرفة/ ص12.

(29) ينظر خبر الساطرون في تاريخ الطبري/ ج2، ص47 - 50.

ويشهدون آيات الله عياناً. يقول جل شأنه عن قوم لوط وخرائبهم ﴿وَإِنَّ لُوطًا لِّمَنِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٣٣) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَائِبِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّا لَنُرَوُّهُمْ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَيَا لَيْلٌ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ (٣٠).

وربما لهذا السبب كان من أمر العرب أنهم إذا ما أمطرتهم السماء بماء غزير يطول هطوله وتصحبه الرعود والبروق يلجؤون إلى كهوف الجبال وشعابهما، ويصطحبون معهم القيان فيسكرون على صخب الموسيقى والطبول محاولة منهم التغطية على صوت الرعد، كأنهم بذلك يحاولون دفن خوفهم من عذاب الله وتناسيه، لأنهم كانوا يستحضرون ما تراكم في عقلهم الباطن من خوف تأتي لهم مما يعرفونه عن الأمم الضالة التي أصبحت أثراً بعد عين، كقوم صالح أو قوم هود أو قوم شعيب وغيرهم من الذين سكنوا في الجوار، فضلاً عن إحساسهم بأنهم على الضلالة وأن ما هم عليه لا يمثل حقيقة ديانة إبراهيم عليه السلام وإنما هي نتف من مفردات دينه دخلتها شوائب وخرافات كثيرة أخرجتهم من هذا الدين، وأعادتهم إلى الشرك الذي جاء سيدنا إبراهيم من أجل نبذه ومحاربته.

يقول طرفة عن يوم الدجن وكيف يحاول تقصيره - أي عدم الإحساس بطوله نتيجة الرعب - بالشرب ومصاحبة النساء الحسنات:

وتقصير يوم الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجَبٌ ببهكنة تحت الطَّرافِ المُعَمَّدِ (٣١)

يقول الله سبحانه وتعالى واصفاً حال المشركين في رعبهم من البروق والرعود: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَّرَعٌ وَيُرَّىٰ يَمْجَلُونَ أَسْنِمُهُمْ فِي إِذْأَنَّهُمْ مِّنَ الصَّوْعِ حَذَرُ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (٣٢).

وتعد الحنيفة التي كانت معروفة إلى حد ما في الجزيرة العربية أكثر المعتقدات مساساً بالإسلام وأشدّها اقتراباً منه. فكانت فئة من العرب تتحنف

(30) سورة الصافات، الآيات: 133 - 138.

(31) ديوان طرفة / ص 33.

(32) سورة البقرة، الآية: 18.

وترفض عبادة الأصنام وتلتمس دين الحنيفية وهو دين إبراهيم الخليل (ع). يقول الله سبحانه وتعالى واصفاً إبراهيم (ع): ﴿مَا كَانَ إِزْهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽³³⁾.

ولأن إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، ولأن هاتين الديانتين دخلتهما شوائب كثيرة فإن هذه الفئة المتحنفة لم ترَ فيهما مبتغاها، ولم تطمئن نفوسها إلى معتقدهما في الله، وبالتالي فقد ظلت تلتمس دين الحنيفية التي كان عليه إبراهيم. ومن هؤلاء الأصناف عثمان بن الحويرث، وورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل الذي (اعتزل الأوثان والمبته والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان، ونهى عن المؤودة. وقال: أعبد رب الخضراء. وبأدأ قومه يعيب ما هم عليه. وكان يقول: اللهم لو أعلم أي الوجوه أحب إليك سجدت إليه. ولكني لا أعلمه ثم يسجد على راحته. وكان زيد أول من عاب على قریش ما هم عليه من عبادة الأوثان. ثم خرج يلتمس دين إبراهيم عليه السلام فجال أرض الشام حتى أتى البلقاء فقال له راهب بها عالم: قد أظلك زمان نبي يخرج في بلادك يدعو إلى دين إبراهيم. فأقبل بسبب قول الراهب مسرعاً يريد مكة. فلما توسط أرض جذام عدوا عليه فقتلوه)⁽³⁴⁾.

ومن الأحناف المشهورين أمية بن أبي الصلت الثقفي الذي (يذكرون عنه أنه بعد أن صبا عن قومه وتحنف، لبس المسوح على زي المترهبين في هذه الدنيا، ورافق الكتب ونظر فيها، ليستلهم منها العلم والحكمة والرأي الصحيح، ثم حرّم الخمر على نفسه مثل بقية الحنفاء، وتجنب الأصنام وصام، والتمس الدين، وذكر إبراهيم وإسماعيل)⁽³⁵⁾. ومن أشعاره في الحنيفية:

كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفية زور
ويرى أن الرسول ﷺ كان معجباً بشعر أمية، وكان حريصاً على سماعه، ومن ذلك ما رواه الشريد بن سويد الثقفي إذ قال: (أنشدت رسول الله ﷺ مائة

(33) سورة آل عمران، الآية: 66.

(34) المحبر/ ص 171 - 172.

(35) المفضل/ ج6، ص 484.

قافية من شعر أمية بن أبي الصلت. يقول بين كل قافية «هيه» وقال: «كاد أن يسلم»⁽³⁶⁾.

فضلاً عما تقدم فإن الجاهليين لم يبدوا استغرابهم من إنسية الرسول محمد ﷺ، ولم يستنكروا أن يكون نبياً يمشي في الأسواق ويأكل الطعام إلا من باب الجدال المحض الذي لا يراد منه الوصول إلى الحقيقة بقدر ما يراد به الجحود، وصم الآذان، وقسوة القلب، ولم يكن سوى أمر مفتعل لا يعبر عن رأي مستقر في وعيهم، يقول سبحانه وتعالى حكاية عن المشركين: ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَنْشِئُ فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾⁽³⁷⁾.

ولم تقتصر المسألة على الكليات فقط، بل تعدتها إلى جزئيات كثيرة تمثل نواهي حث الإسلام العباد على اجتنابها مثل أكل الدم ولحم الخنزير وشرب الخمر، فكان من الجاهليين من حرّم على نفسه شرب الخمر لما كان يرى فيها من وسيلة تخرج المرء وقاره وتحط من قدره ومنزله، ومن ذلك ما يروى عن قيس بن عاصم المنقري أنه سكر فغمز عُكَّة ابنته، فلما أخبر بذلك حرمها وقال في ذلك:

رأيت الخمر مفسدة وفيها خصال تفسد الرجل الكريما
فلا، والله، أشربها حياتي ولا أدعو لها أبداً نديما
فإن الخمر تفضح شاربها وتجنّهم بها الأمر العظيما
إذا دارت حُمَيَّاهَا تَعَلَّتْ طوالع تسفه المرء الحلّيما
ومن الجاهليين من حرّم على نفسه القداح والميسر، ومن هؤلاء
عفيف بن معد يكرب الكندي وبهذا سمي «عفيفاً» وكان اسمه شراحيل إذ قال:
وقالت لي: هلم إلى التصابي فقلت: عفت عما تعلمينا
وودّعت القداح وقد أراني بها في الدهر مشغوفاً رهينا

(36) سنن ابن ماجه/ ج2، ص1236، المزهر/ السيوطي: ج2، ص309.

(37) سورة الفرقان، الآية: 7.

وقال الأسلوم اليامي وكان ممن حرم الزنا والخمر في الجاهلية :
سألمت قومي بعد طول مذاكرة والسلم أبقى في الأمور وأعرفُ
وتركت شرب الراح وهي أثيرة والمومسات، وترك ذلك أشرفُ
وعففت عنه يا أميم تكرماً وكذلك يفعل ذو الحجى المتعفف⁽³⁸⁾

ومن الجاهليين من أتى فعلاً وافق حكم الإسلام، ومن ذلك توريث البنات، فقد كانت العرب مصفقة على توريث البنين دون البنات. فوزّث ذو المجاسد وهو عامر بن جشم بن غنم بن جُتَيْب بن كعب بن يشكر ماله لولده في الجاهلية للذكر مثل حظ الأنثيين. فوافق حكم الإسلام⁽³⁹⁾.

بل إن الظلم الذي كان سمة ملاصقة للجاهلية لم يكن فعلاً أصيلاً عند أصحاب الشرف والرفعة من العرب، فقد أنفَ معظم العرب من أن يأتوه، وترفعوا عن سلب حقوق الغير والتعدي على حرّيات الناس، ولهذا فقد اقترن الظلم بالسفلة والسوقة دون الأشراف والسادة وكرام الناس. وليس أدلّ على مقت الأشراف والحريصين على السؤدد للظلم وسلب الحقوق من الحلف الذي تداعت إليه قريش، واجتمعت (في دار عبد الله بن جدعان لشرفه وسنه، وكانوا بني هاشم، وبني المطلب، وبني أسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة فتحالفوا وتعاهدوا أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول، وشهده رسول الله ﷺ فقال حين أرسله الله تعالى: لقد شهدت مع عمومتي حلفاً في دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت)⁽⁴⁰⁾.

وعلى الرغم مما أثبتناه في بحثنا هذا، وما أشرنا إليه من وشائج ثقافية واجتماعية ونفسية وصلت بينهما، إلا أن ذلك لا يعني بأي حال من الأحوال أن

(38) المحبر / ص 237 - 291.

(39) نفسه / ص، 236 - 237.

(40) الكامل في التاريخ / ابن الأثير / ج 2، ص 26 / السيرة لابن هشام / ج 1، ص 133 - 134.

مرحلة الجاهلية لم تكن مرحلة قلق مضطربة وفترة إرهاب لتغيير كبير وجديد، ولا تعني هذه أن الإسلام كان امتداداً لفكرة منتشرة بين الناس عمل النبي على إظهارها وتوكيدها كما قد يزعم من ينكر فضل الرسول وقُدسية الوحي، ولكن الإسلام كان استجابة لضرورة قائمة جاءت في حينها الموقوت من لدن رحيم عليم كتب على رسوله أن يبشر وينذر ويتحمل بصبر وجلدٍ ضرورياً من الإرهاق واللحاجة والأذى.

لقد شاءت إرادة الله أن يكون الإسلام الخلاصة النقية التي تبلورت فيها كل آمال هذه الأمة وتمثلت فيها مطالبها النفسية، ومثلها العليا⁽⁴¹⁾.

فضلاً عن ذلك فإن تلك المقتربات ظلت منقوصة، وقاصرة عن أداء مهمتها بالشكل المطلوب، حتى جاء الإسلام ووضعها في إطارها وسياقها الصحيحين، ولعل نقصانها وقصورها يعودان إلى سببين رئيسين:

أولهما: أن تلك المقتربات لم يتنظمها سياق واحد يمكن أن نستدل منه على وعي جماعي بأهميتها وإرادة مشتركة لتمثلها، فقلما كان العربي يمارس طقوسه ويعيش حياته مستلهماً تلك المقتربات بالكامل، بل إن الدارس يمكنه أن يخلص بسهولة إلى أن تلك المقتربات التي وضعنا اليد عليها كانت خلاصة بحثية، ونتاجاً لفحص ونظر متمعين لفترة الجاهلية بأكملها، إذ إنها تنف متناثرة موزعة بين هذا الشخص أو ذاك، وهذه القبيلة أو تلك، فحين تتدب قريش إلى دفع الظلم عن المقهورين كانت في الآن ذاته تند البنات وتمارس الزنا، وكان العربي الذي يأنف من شرب الخمر، يأكل أموال الأيتام، أو يمنع إرثه عن البنات، ويستأثر بالحقوق، والحال نفسه مع من يدعو إلى السلم وينبذ التناحر ويستقسم بالأزلام ويرابي في وقت واحد.

وبطبيعة الحال فإن الإسلام لم يدعُ إلى مكرومة وينبذ أختها، بل إنه بعقيدته السمحاء كان منظومة متكاملة لا يعترئها الوهن ولا يخترمها النقصان، فقد دعا إلى مكارم الأخلاق كلها بما تستحيل معه تلك المكارم إلى دينٍ جمعي مُلزم قبل

(41) ينظر شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه/ د. يحيى الجبوري/ ص30.

أن تكون نزعة اجتماعية وثقافية ونفسية يلتزمها البعض ويدعها البعض الآخر، أو يتقي منها الشخص ما يلامس نفسه، ويدع منها ما لا يراه مناسباً.

ثانيهما: أن تلك المقتربات قد أفرغت من محتواها يوم اقترنت بعبادة الأصنام ويوم مارسها من يشرك بالله ويتخذ له أنداداً.

إن الإسلام تضمن محظورات عدة لا يمكن الاقتراب منها أو تخطي حدودها، فلا قيمة لعمل مهما كان محموداً ومهما كان متطابقاً مع حكم الإسلام إذا اقترن في ذات المرء العامل وفي عقله بالشرك، لأن العمل حين لا يُراد به وجه الله يتحول سعيّاً إلى مجد شخصي ومكانة دنيوية، قد لا يحرمها الجاهلي، ولكنها ستكون في المحصلة النهائية حظه الذي لاحظ له غيره وهو في الآخرة من الخاسرين.

فالمشرك لا ينفعه الخير؛ لأن الخير الذي ابتغاه كان لمجد أو لعصبية أو لسؤدد، ومن ذلك ما قالته عائشة لرسول الله ﷺ: (إن عبد الله بن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة؟ فقال: لا. إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين)⁽⁴²⁾.

وكان عبد الله بن جدعان من أجواد قريش، وقد حَجَرَ رَهطه عليه لما أسنَّ (فكان إذا أعطى أحداً شيئاً رجعوا على المعطى فأخذوه منه، فكان إذا سأل سائل قال: «كن مني قريباً إذا جلست فإني سألطمك. فلا ترض إلا بأن تلطمني بلطمتك أو تفتدي لطمتك بقداء رغيب ترضاه». وله يقول ابن قيس الرقيات: والذي إن أشار نحوك لطماً تبع اللطم نائل وعطاء وذكروا أن أمية بن أبي الصلت دخل على عبد الله وعنده قيتان له. فلما رآهما قال: «أنعم صباحاً، أبا زهير» ثم أنشأ يقول:

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك؟ إن شيمتك الحياء
خليل، لا يغيره صباح عن الخلق الجميل ولا مساء
وأرضك كل مكرمة بناها بنو تيم وأنت لها سماء

(42) السيرة لابن هشام/ ج1، ص134 «الهامش».

إذا أثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرضه الشناء
تباري الريح مكرمةً ومجداً إذا ما الكلب أجحره الشتاء
فقال له: «خذ بيد أيهما شئت». فأخذ إحداهما. ثم خرج على مجالس
قريش فقالوا له: يا أمية أتيت شيخنا وسيدنا، وعنده جاريتان له تلهيانه. فسلبته
إحداهما، فتذمم أمية من ذلك، فرجع فلما رآه عبد الله قال له: اكفف حتى
أخبرك ما الذي ردك، جزت على قريش فقالوا لك كذا وكذا. أنا أعاهد الله
لنأخذن الأخرى فإن إحداهما لا تصلح إلا بالأخرى فأخذهما وخرج وهو
يقول:

عطاؤك زين لامرئ إن حبوته بفضل وما كل العطاء يزين
وليس بشين لامرئ بذل وجهه إليك كما بعض السؤال يشين⁽⁴³⁾

وكان مما جادل مشركو قريش به رسول الله ﷺ أنهم قالوا: نحن أهل
الحرم وسدنة بيت الله وحجابه، يتناولون بذلك على الناس، ويدعون منزلة
متميزة عند الله. فأنزل الله سبحانه وتعالى آيات تبين لقريش أن سقاية الحجيج
وعماره المسجد الحرام لا تعفي المرء من أن يوحد الله ولا يشرك به شيئاً، الأمر
الذي يدل على أن المشرك لا ينفعه عمله ولو كان عملاً كريماً. يخاطب جلّ
جلاله قريشاً قائلاً: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْكَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾⁽⁴⁴⁾.

عرض أسرى هوازن على رسول الله ﷺ بعد أن قفل من حنين، وكانت
سفانة بنت حاتم الطائي من جملة من عرض عليه، وبعد أن استشفعت عند
رسول الله ﷺ بفعال أبيها قال رسول الله ﷺ منوهاً بتلك الفعال ومشيداً بكرم
الرجل: «إن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق، إن أباهما كان يحب مكارم
الأخلاق». وحين سئل من بعض جلسائه: إن كان يحب مكارم الأخلاق فهل
ينفعه ذلك يوم القيامة؟ فأجاب عليه الصلاة والسلام: «إنه كان ينبغي أمراً

(43) المحبر/ ص 137 - 138.

(44) سورة التوبة، الآية: 19.

وأدركه». في إشارة إلى أن حاتمًا الطائي كان يطلب بفعاله الكريمة تلك مجداً دنيوياً وصيتاً ذائعاً، بين العرب، وكان له ما أراد أما الآخرة فلها شأن آخر. فكم من سيد طار ذكره في بلاد العرب كلها يكون يوم القيامة من الخاملين، وما ذاك إلا لأنه أشرك بالله وتقرّب إليه بالأصنام.

فهل ثمة إمكانية للتوفيق بين الموقفين:

الإسلام كان حادثاً وصارماً إزاء عقد مثل هذه المقاربة، ولعل الشرك الذي وقع فيه الجاهليون كان القسّة التي قصمت ظهر البعير، واستبعدت مثل هذه المحاولات المهمة في علم الأديان، وكانت تلك الصرامة من الشدّة بحيث إن الباحثين لم يجترؤوا على محاولة تلمس تلك المقتربات العقائدية التي نرى أنها كانت أساساً انطلق منها العربي الجاهلي في تعامله مع الدين الجديد، وكانت حافزاً مهماً وحقيقياً للإيمان الفوري للبعض منهم، مما يدل على أن العرب كانوا مهيبين للإسلام، وكانت إرهابات التغيير التي مثّلها الإسلام قد بدأت بالتبلور منذ أمدٍ طويل سبق ولادة الرسول ﷺ نفسه.

كانت الجاهلية بعامة، والجاهلية الثانية التي سبقت الإسلام بمائة إلى مائة وخمسين سنة، على تقدير معظم الباحثين، حُبلى بوليد طال انتظاره، وعرف العرب أن أوانه قد أزف، وأنه سيخرج في أرضهم، يحقق بشارة المسيح ومن قبله موسى عليه السلام.

ومع فهمنا لهذه الإرهابات، وللنفس العربية المجبولة على الخير، وللشائع من بقايا ديانة إبراهيم عليه السلام، وللأعراف الاجتماعية نخلص إلى أن المعادلة التوفيقية والتقريبية بين فترة الجاهلية وبين الإسلام جائزة وموضوعية.

ولكن واقع الحال يوحي بأن تلك المقاربة إن صحت مع فئة المؤمنين الأوائل، فإنها لا تصح مع قريش ومعظم العرب الذين وقفوا موقفاً مضاداً من الإسلام، هذا الموقف بدا فيه الإسلام بالنسبة لهؤلاء منبتاً عما سبقه، على العكس من موقف المؤمنين الأوائل الذين مثل لهم الإسلام حدثاً كانوا يتوقعونه ويتنظرونه بلهفة وحبور. ونتساءل: لماذا وقفت قريش ضد الإسلام؟!

بقدر ما كان موقف قريش من الإسلام مصيرياً فإنه اتسم بخصوصية شديدة أيضاً، ولا يبدو أن الخصوصية التي اتسم بها موقف قريش جاءت من مؤثرات فكرية أو عقيدية مضادة للإسلام، بقدر ما جاءت من مؤثرات وعوامل أخرى. لأن قريشاً لم تكن مختلفة عن بقية العرب بالقدر الذي يمكن أن يتبلور لديها موقف عقائدي خاص.

يبدو أن ثمة عاملين كان لهما التأثير الأعظم في عناد قريش وتكبرها وإصرارها على الكفر.

أولهما: عامل الأنفة والاعتزاز بتراث الآباء والأجداد:

وهو عامل لا يقتصر على قريش وحدها، بل يتعداها إلى معظم القبائل العربية، فقد أصر المشركون على البقاء على ديانة آبائهم وأجدادهم، ورفض الإسلام الذي رأوا فيه أمراً محدثاً سيخرجهم مما اعتادوا عليه واستقر في نفوسهم وعقولهم إلى ما ليس لهم به علم.

لقد كان من الطبيعي أن يرى الجاهليون في الإسلام ثورة كبرى على تقاليدهم وموروثاتهم التي يقدسونها ويحافظون عليها، فضلاً عن أن الإسلام سفه دين آبائهم وحث على نبذ ما كانوا عليه. والعربي بعامة والبدوي بخاصة لا يقنع بضلال أبيه وأجداده بسهولة ويسر، يقول الله (جل جلاله) في هذا الشأن: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْوِي بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بَكْمٌ عَنْهُمْ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ (٤٥).

وليس أدل على هذه الأنفة وذاك الاعتزاز بتراث الآباء من إصرار أبي طالب عم رسول الله ﷺ على البقاء على دين عبد المطلب وشيوخ قريش، على الرغم من أنه كان من أشد المناصرين لرسول الله ﷺ، وكان أول من منع

(٤٥) سورة البقرة، الآيتان: ١٧٠ - ١٧١.

عنه أذى قريش، حتى قال كتاب السيرة إنَّ قريشاً لم تتمكن من الوصول إلى رسول الله ﷺ أو تمسه بسوء حتى توفي أبو طالب.

يُروى أنه حين بُعث الرسول ﷺ ودعا بدعوة الإسلام وفشا أمره في قريش سأله عمه أبو طالب: (ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال: أي عمّ، هذا دين الله، ودين ملائكته، ودين رُسله، ودين أبينا إبراهيم، بعثني الله به رسولاً إلى العباد، وأنت أي عمّ، أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحقُّ من أجابني إليه وأعانني عليه، فقال أبو طالب: أي ابن أخي، إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يُخلّص إليك بشيء تكرهه ما بقيتُ) (46).

هذا الاعتزاز بدين الأجداد هو وحده الذي يقف حائلاً بين الرجل والإسلام، إذ لا يدل موقفه على قناعة راسخة بخطئ حكم الإسلام، ولا يعبر عن إيمان ثابت بصحة دين الجاهلية، وإنما تلعب العصبية وحدها دوراً في إصرار أبي طالب على ما هو عليه، باعتباره امتداداً لسيرة آبائه وأجداده، إذ يروي ابن هشام أن أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية كانا حاضرين حين دعا الرسول ﷺ عمه إلى الإسلام فوثبا عليه يسألانه باستهجان ويردانه عمّا ظنّا أنه عزم عليه من الإسلام:

أترغب عن ملة عبد المطلب، فقال: أنا على ملة عبد المطلب (47).

إن أبا طالب يمتنع عن الإيمان بدين يبدو أنه كان يعلم علم اليقين أنه الحق، لأنه يخاف السبّة على الرسول ﷺ وبني هاشم، ويأنف أن تقول عنه قريش إنه آمن جزعاً من الموت الذي يقترب منه، فحين دعاه الرسول ﷺ، وحين رأى حرص الرسول ﷺ قال: (يا ابن أخي، والله لولا مخافة السبّة عليك، وعلى بني أبيك من بعدي، وأن تظن قريش أنني قتلتها جزعاً من الموت لقتلتها، لا أقولها إلا لأسرك بها) (48).

(46) السيرة لابن هشام/ ج1، ص247.

(47) يُنظر السيرة لابن هشام/ ج2، ص418.

(48) الروض الأنف/ السهيلي/ ج4، ص16.

وثانيهما : العامل الاقتصادي :

فإذا كان العامل الأول مشتركاً بين القرشيين والقبائل العربية الأخرى، ويعبر عن النزعة القبلية والروح البدوية اللتين انماز بهما العرب بعامة، فإن العامل الاقتصادي الذي يشكل دعامة أساسية أخرى من دعامات الشرك، ودافعاً آخر من دوافعه كان مقتصرأ على قريش وحدها، فقد كان القرشيون سدنة البيت، وحجابه، وحفظة أصنام العرب، إذ كان في الحرم ثلاثمائة وستون صنماً بقدر عدد القبائل العربية. وكان العرب يحجون إليها ويطوفون بالبيت ويتاجرون، يبيعون ويشتررون، وكان موسم الحج سوقاً تدر على أثرياء قريش الأموال الطائلة، ولهذا فإن الدين عند قريش لم ينقسم عن التجارة، بل كان للدين عندهم وجه اقتصادي واضح. وكان لوجود الكعبة في مكة الدور الفاعل في تلك المكانة المرموقة التي تميزت بها قريش من بين القبائل العربية قاطبة، فعقدت الإيلاف مع القبائل التي تمر تجارتها في أراضيها متجهة إلى الشام صيفاً وإلى اليمن شتاءً.

لقد كان الإسلام بالنسبة للقرشيين ثورة أفضت مضاجعهم، وقوضت دعائم تجارتهم، وزعزعت نظامهم الاجتماعي القائم على الطبقية وعلى استغلال الأثرياء للفقراء والعبيد، لما ينشده من عدالة اجتماعية، ولما يدعو إليه من ردم للهوة بين الأثرياء والفقراء وإلغاء لنظام العبودية. الأمر الذي من شأنه إلغاء امتياز قريش على بقية القبائل وامتياز السادة على العبيد، وكان خوف قريش من الإسلام يتأتى أيضاً من دعوته إلى الوحدة ونبذ عبادة الأصنام، والدعوة إلى المباشرة بين العبد وربّه على أساس أن الله موجود في كل مكان يرى ولا يُرى، يسمع الدعاء، ويجب دعوة الملهوف والمظلوم، وهذا ما سيؤدي حتماً إلى انتفاء الحاجة إلى عبادة الأصنام الموجودة في مكة، وانتفاء صفتها كواسطة بين العبد وربّه، فإذا كان الله في كل مكان فما حاجة العربي للذهاب إلى مكة لاتخاذ صنمه واسطة بينه وبين الله. وهكذا ستضمحل أهمية مكة كموئل للأصنام وكقلعة للدين، ويتراجع دورها الاقتصادي أيضاً، وهذا ما لم يردّه سادة قريش وأثريائها.

إن جبروت قريش وخيلاءها لم يكن يحذّ من غلوائهما سوى المصالح

الاقتصادية، فكم من مرة انتفضت قريش بقضها وقضيضها للدفاع عن تلك المصالح، بينما كانت تقدم رجلاً وتؤخر أخرى في مواقف تمس صميم عقيدتها، لا شيء إلا لأن إحجامها في مثل هذه المواقف كان ضرورياً للحفاظ على امتيازاتها وتجارتها.

فلم تفكر قريش أن تغزو الرسول ﷺ في مدينته حتى بعدما أصبح يمثل خطراً على دينها، وأصبح له أتباع في القبائل العربية كلها، ولكنها بمجرد أن هدد المسلمون تجارتها إلى الشام تداعت لإنقاذ أموالها: وهبت بشبابها وشيبيها مسرعة إلى الحرب، وعندما أنقذ أبو سفيان غير قريش أثر بعض السادة العودة بعد أن زالت مبررات النفير.

والشواهد على ما تمثله المصالح الاقتصادية من أهمية قصوى لقريش كثيرة متعددة، منها ما يروى عن أبي ذر الغفاري الصحابي الجليل، إذ بعد أن أسلم مبكراً، في وقت كانت فيه الدعوة سرية قال الرسول ﷺ: «ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتبك أمري» فقال والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرائهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وثار القوم فضربوه حتى أضجعوه، فأتى العباس فأكتب عليه فقال: ويلكم أستم تعلمون أنه من غفار وأنها طريق تجاركم إلى الشام فأنقذه منهم»⁽⁴⁹⁾.

إن الأنفة من استضعاف الغريب والاستعلاء عن التكالب على من لا نصير له لم يمنعا قريشاً من الانقضاض على أبي ذر وضربه، ولكن انتساب الرجل إلى غفار كان كفيلاً بإنقاذه، وكافياً ليقطع من قريش غيظها وحنقها على امرئ تحدى كبرياءها واستفز جبروتها. فالمال قدس أقداس قريش وكل ما سواه يحتل المرتبة الأدنى ولو كان ذلك، مقدساتها وآلهتها.

وخلاصة القول: إن عناد قريش وإصرارها على الكفر لم يكن يتم عن إيمان فكري راسخ بجدوى دين الشرك، ولم يكن يعبر عن قناعة بما يمارسونه

(49) صحيح مسلم/ بشرح النووي/ ج6، ص34.

من طقوس وعادات وتقاليد بقدر ما كان يقف وراءه هذان الدافعان، وأعني دافع العصبية لتراث الآباء، والدافع الاقتصادي، ولم تتمثل قبيلة هذين الدافعين مثلما تمثلتهما قريش، ولهذا فما أن فُتحت مكة ودخلت قريش فيما دخل فيه الناس من الحق حتى تهافتت وفود القبائل على الرسول ﷺ تعلن إسلامها وإيمانها بالدين الجديد.

لقد كانت القبائل تراقب موقف قريش من الدعوة الجديدة وتحاكي فعلها إزاء هذه الدعوة وتمثله، إيماناً منها بأن قريشاً أقدر العرب على اتخاذ الموقف الصحيح من هذا الدين، باعتبارها القائمة على دينهم القديم وخدمة البيت العتيق، ولهذا فإن إيمان قريش كان إيذاناً بإيمان معظم القبائل، وإن كان الكثير من العرب لم يدخل الإسلام بداية عن إيمان راسخ؛ إذ سرعان ما ارتدت معظم هذه القبائل بعد وفاة الرسول ﷺ فيما عُرف تاريخياً بحروب الردة التي قادها خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه. ولهذا كله فقد أكد النبي ﷺ مكانة قريش ودورها في قيادة العرب إذ ورد عنه ﷺ أنه قال: «الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم»⁽⁵⁰⁾.

عندما توفي رسول الله ﷺ وارتدت بعض العرب وتهيأت جيوش المسلمين لقتال أهل الردة تحلق عدد من الصحابة يتحادثون (فلما دنا عمر منهم سكتوا، فقال: فيم أنتم؟ فلم يجيبوه. فقال لهم: إنكم تقولون: ما أخوفنا على قريش من العرب. قالوا: صدقت، قال: فلا تخافوهم، أنا والله منكم على العرب أخوف مني من العرب عليكم، والله لو تدخلون معاشر قريش جحراً لدخلته العرب في آثاركم فاتقوا الله فيهم)⁽⁵¹⁾. يبرهن ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على سلطان قريش على العرب جميعاً، هذا السلطان الذي لم يتبدَّ في شأن من شؤون الحياة، مثلما يتبدى في الدين والعقيدة، يقول الرسول الأعظم ﷺ مبيناً هذا السلطان: «الناس تبع لقريش في الخير والشر»⁽⁵²⁾.

(50) صحيح مسلم/ ج12، ص199.

(51) الكامل في التاريخ/ ج2، ص238.

(52) صحيح مسلم/ ج12، ص199.

فقد اتبع العرب قريشاً يوم كفرت وساروا على آثارها يوم أسلمت، فكان فتح مكة فتح الفتوح بحق؛ لأنه كان نقطة الشروع في اندحار الشرك في جميع أنحاء الجزيرة العربية، ومن أجل ذلك حثَّ الله سبحانه وتعالى رسوله الأمين ﷺ على أن يستبجَّ بحمد ربه ويشكره على نصره المبين الذي خلَّد الله ذكره في محكم كتابه، فأنزل فيه آيات بينات يقول عزَّ من قائل: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّكُمْ كَانَتْ قَوْمًا﴾⁽⁵³⁾.

قائمة المصادر والمراجع

- 1 - أدونيس، جيمس فريزر، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، دار الصراع الفكري، بيروت، 1957.
- 2 - تاريخ الإسلام، شمس الدين الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2/1989.
- 3 - تاريخ الرسل والملوك، الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط2.
- 4 - ديوان حاتم الطائي، تقديم: د. مفيد محمد قميحة، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- 5 - ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، صنعة: يحيى بن مدرك الطائي رواية هشام بن محمد الكلبي، دراسة وتحقيق: عادل سليمان. جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1990.
- 6 - ديوان طرفة بن العبد، تقديم: كرم البستاني، دار صادر، بيروت.
- 7 - ديوان النابغة الذبياني، تحقيق وشرح: كرم البستاني، دار صادر، بيروت.
- 8 - الروض الأنف، عبد الرحمن السهيلي، تحقيق وتعليق وشرح: عبد الرحمن الروكيل، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

(53) سورة النصر، الآيات: 1 - 3.

- 9 - السنن، ابن ماجه (عبد الله محمد بن يزيد)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت.
- 10 - السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي.
- 11 - شعر ذي الرمة - دراسة فنية، د. خالد ناجي السامرائي، رسالة دكتوراه كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، 1997.
- 12 - شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1998.
- 13 - صحيح مسلم، شرح النووي، مكتبة زهران، القاهرة.
- 14 - القرآن الكريم.
- 15 - الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1980.
- 16 - المحبر، أبو جعفر محمد بن حبيب، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، اعتنت بتصحيحه: الدكتورة: إيلزه ليختن شتير، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- 17 - المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وعلى محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- 18 - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1970.